

الانسان جماعته

كل انسان محمول على جماعة من الجماعات التي عليها الناس يتأزر أفرادها ويتعاصد آحادها جلباً للمنفعة ودرءاً للمضرة وكلهم يد واحدة على من سواهم.

أبلغ هاته الجماعات ما نسميه بالشعب والقبيلة وما يرادف ذلك من الاسماء وهي عبارة عن عصبه من الخلق طالت العشرة بينهم فضت عليهم الدهور وهم مع بعضهم بعض في صعيد واحد خلفاً عن سلف ينشأ في هاته العصبه النشء فيعمل فيها على أثر من سبقه اليها ويأخذ حظه منها كما تأخذ حظها منه ثم يفارقها وتبقى بعده سائرة في سبيلها قائمة بأمرها الى أجل مسمى وساعة في كتاب اي عدة أجيال ماتوا عن اجيال لا زالوا في الحياة وآخرين في بطون الايام استرسلت اعمالهم واتصلت اواخرهم بأوائلهم واقترنت اطرافهم واشتدت اواصر القرابة بينهم فصاروا ذاتاً واحدة لها حياة خاصة بها وشارات تميزها على غيرها من عقائد توافق ضمائرهم وعوائد تناسب خواطرهم وأزياء تلائم انظارهم وتاريخ يمجّد آثارهم ويفشى نخارهم وآمال توزع الزمان أسرارها حتى صارت هي الاصل والناس لها أتباع وهي الشجرة وهم اغصانها وهي الاروة وهم فروعها وما الانسان الا حركة من حركاتها اوشظية من خشبتها فلا معنى له في الحقيقة الا منها ولا قيمة الا عنها فان ابيت الابت اوصاله عن عترته وأرادت الا تجريده عن طائفته فريشة في الهواء اوبناً ليس له مستقر

حالة لا يستثنى منها حتى أفذاذ الرجال الذين تجود بهم الدنيا حيناً بعد حين . يوافون الخلائق بالعجائب ويهرونهم بالمعجزات وجلائل الاعمال فتميد بهم الارض اعجاباً وترنج من اجلهم اركان الكون اكباراً فان هؤلاء العظماء ايضاً من الجماعات التي منها يخرجون وانما تحملهم اكثر من غيرهم ثم ترسلهم الى الوجود لسنا ناطقة عن اسرار اهلها الساكنين في القبور ووطامع الذين لا زالوا في الديار وكواكب ينثرون لآخوانهم من آف الى آخر سبل الهداية ويرشدونهم الى مواطن الصواب

لا تضطر الانسان طبيعته الى أمثاله من قبيل مصلحة المعاش فقط بل هو ذو انس يستوحش العزلة ويحتاج الى التعلق بغيره من ام حنون وأب مشفق وزوج يسكن اليها وتسكن اليه وولد بار وأقارب يعطفون عليه وخلان يتبادل معهم كؤوس المحبة والوداد كما يحتاج الى التعلق بالزمان اذ ياتي اليه فيجب فيه البقاء ويدعمر من الفناء وحيث ان الموت لا بد منه فحسبه اذا وافاه الاجل ودعاه داعي الرحيل أن لا يذهب من الدنيا جملة وأن يبقى له فيها ذكر ينبيء عليه واثريشير اليه وهذا ايضاً سبب من الاسباب التي تلجئه الى زمرة من زمر البشر يلقي فيها ما يرغبه من المحبة منه واليه وتميل به الى جماعة تصون اثره وتحفظ عهده وتكون لأعماله وعاء ولاً خبره حرزاً

علاقة المرء بغيره واتصال عمله بالمكان والزمان هو عين

الفارق بينه وبين ما عداه . يذهب من الوجود ويبقى أثره يدل عليه حتى انا لو اردنا جعل حقيقة له تميزه على غيره أمكننا ان نقول الانسان عمل أو اثر ونقول في الجماعة مجموع اعمال او سلسلة من الآثار .

هذا ودون الشعب والقبيلة من الجماعات اصناف من طوائف وأحزاب تطلق على عدد من الافراد اختلطت اشغالهم واتحدت مصالحهم وجعلوا لأنفسهم غاية يسمون اليها وأمرأً يكيدون

رب رجل يظن فيه المقدرة على الاكتفاء بنفسه والاستغناء عن غيره عملاً بقول القائل ترحل من مكان فيه ضيق واخل الدار تنعى من بناها فانك واجد ارضاً بارض ونفسك لم تجد نفساً سواها

ولكن هذا المتطاول على عثرته المفارق لعشيرته انما يخرج في الحقيقة من دار للدخول في دار اخرى ويتنصل من طائفة للاندماج في سواها من الطوائف وأشقاها طائفة الاحرار .

فلا غرو اذن - حيث ان الانسان قضى عليه ان يندمج في جماعة - ان يكون امره اليها وأمرها اليه . اذ هو منها وهي منه وهو فيها خادم ومخدوم وضامن ومضمون . اعماله عائدة عليها وأعمالها عائدة عليه وآلة اليه . وان يتبعها في سائر أحوالها ويجرى عليه ما يجري عليها من سراء وضراء ورحمة وعذاب .

من عرف هذا وأحال عليه شؤون الناس فهم معانيها وبدت له غالب أسبابها . فان جل الوقائع التي تقع للخلق

مبنية على علاقاتهم ببعضهم البعض والتجانبهم الى حوزة الجماعات التي اليها ينسبون .

كم من رجال مثلاً نراهم في رغد من العيش وعز من المنزلة ويظهر لنا أنهم ليسوا بأهل لما هم فيه فنتعجب من ذلك وربما نعترض على الاقدار في شأنهم فاذا رجعنا الى السبب وجدناه من عمل الاسلاف وأثر الاوائل او منفعة من الجار

وكم من اقوام يكونون في امتهم سادة . ييدهم الحل والعقد وفي منازلهم الخير والفخر والناس لهم مطيعون ولأغراضهم خادمون اذ تقرم عليهم العامة فتخرب ديارهم وتذبح أولادهم وتستحيي نساءهم فيسمى الاقوام المذكورون هذا الامر عصياناً وعثواً في الارض وفساداً وننظر الى حالة اولائك الناس وما وقع لهم من ذلة بعد عزة وهبوط بعد صعود ويجول في آذاننا شكاء الاشايب والاصاغر وبكاء الضعفاء والولدان فتأخذنا الرحمة عليهم ونشفق من امرهم ونستبشع القضاء وما جاء به ثم اذا أبننا الى رشدنا ورجعنا الى جادة الصواب وجدنا العلة في بطون الايام وغضوب الاعوام . رجال عملوا فاستحقوا السيادة وجمعوا اليهم اطراف

الزعمة وأطاعتهم العامة ثم ماتوا وتتابعت الاجيال جيلاً بعد جيل والرئاسة باقية بأيديهم واذا خلف تذهب منه خصال السلف فيخرج عن الحد ويتباعد عن طريق الجد في معاملة من يمتدح له بالرئاسة حتى يفرغ صبر العامة ويحيش صدرها وما هي الا عشية او ضحاها اذ تقوم على ساداتها تأخذ منهم الثار ولا تفرق في ذلك بين الظالم منهم وغير الظالم اذ ان قيامها تقصده في الحقيقة جماعة ولا تقصد به أفراداً والشر يولد الشر والخير يولد الخير واذا ظلم السيد اشتكى

العبد وما أطاع الا ليطاع وما أحب الا ليحب واذا هانت الحياة هانت الموت وما كل موت فوت ولا فوت الا بين عريان ولا قبر الا النسيان .

وكم من امير سقته رعاياه كاس المنية من غير ذنب ينسب اليه وما ذلك منهم الا على سبيل الانتقام من طائفته وتبريد حنيفة تربت فيهم شيئاً فشيئاً فلما اشتدت اخذوا من وجدوه ولم يقتلوا شخصاً معيناً بل قتلوا في الحقيقة فيه طائفة هو نائبها وعشيرة هو عنوانها حاذفين من الرسوم رسماً ومن الدلالات دلالة . وهكذا مات الرجل عن الاولين كما عاش من قبل بالتاج وراثته عن الاقدمين

الفتنة طامة تربيتها الاجيال فاذا جاء وانها انقسم الناس الى فريقين فريق طالب تابع وفريق مطلوب متبوع يشمل كل منهما في صفوفه سائر من يدخل في نوعه من اموات وأحياء ومن اكبر وأصاغر وأقوياء وضعفاء فيكون من جملة الطالبين من له شكايه ومن ليست له شكايه ومن جملة المطلوبين الظالم وغير الظالم اذ تختفى الافراد ولا يبقى لها تعريف الا بالالقباب والاضداد حتى اذا ما التقى الخصمان اختلط السليم بالسقيم وذهب المحرم مع المجرم .

هذا ما اقتضته الحكمة . ما من عمل يصدر من المرء الا وله في قومه اثر وفي الزمان خبر والداء يطالب الابناء بداء الآباء والايام تحاسب الاحفاد عن افعال الاجداد والاصول تتبعها الفصول والعدوى تسير من دار الى دار ويلغها الجار الى الجار وقد قال تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفياً ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً واذا دمرت القرية نزل القضاء بالعابد والفاقد وذهب الصالح مع الطالح يظن الانسان الاستقلال ولا استقلال فهو دائماً من طائفة امره اليها وأمرها اليه والمرء ينسب الى بلده والبلد ينسب الى أهله فعلى العاقل أن يتبصر في عمله ومن تبصر فيما لعمله من اثر اكثر من الحذر .

العمل كالشجرة ان لم تنفع غارسها نفعت غيره وهي من اطيب الآثار تزين الارض باوراقها وتجوود على الناس ثمارها ويستظل بها عابر السبيل . والعمل أطول من الامل اذ الامل يحده الاجل أما العمل فيتخطى الاجل والامل يفنى مع حامله أما العمل فباق بعد عامله

م

مهام ابحاثنا

حديث مع السيد محمد المرينسي

لامشاحة في أن المغرب دخل في طور جديد يتراءى ذلك في كل ناحية من نواحي الحياة والحق انه جدير بكل ما يرفعه الى المستوى فلا عجب اذا رأينا اليوم يبدى ما يحس به ويصرح بما يؤلمه يؤيد هذا المظهر العظيم الذي ظهر به النواب الاهالي والمركز الذي أحرزوا عليه في لجنة الترتيب التي اجتمعت في ثلاثين من شهر يونيه الماضي لجنة لعب فيها النواب المذكورون دوراً مهماً مما حدا بنا الى مقابلة صديقنا الحبيب السيد محمد المرينسي الذي كان فيها لسان الجميع